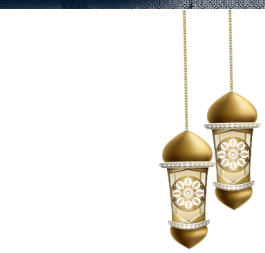

الخطب المنبرية

لفضيلة الشيخ الدكتور

محمد هشام طاهري

(حفظه الله تعالى)

خطبة الجمعة بعنوان

العشر الأواخر

بتاريخ/ ٢٣ رمضان ١٤٤٤ هـ الموافق/ ١٤ـ٤ـ٢٠٢٣

خطبة الجمعة

العشر الأواخر

الحمد لله الذي جعل شهر رمضان موسمًا للطاعات وأصطفىٰ لنا العشر منه للتنافس في الصالحات وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة من يبتغي بها أرفع المنازل والدرجات وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله سيد البريات صل الله عليه وعلىٰ آله وأصحابه السادات وعلىٰ من سار علىٰ نهجهم وأقتفىٰ أثرهم إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فأوصيكم عباد الله ونفسي بتقوىٰ الله الجليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتىٰ الله بقلبٍ سليم.

أيها الإخوة المسلمون:

ها نحن نعيش أيام رمضان الأخيرة ولياليه المباركة قد فضل الله سبحانه العشر الأواخر من رمضان وجعل في العشر الأواخر الليلة التي هي خير ليالي الزمان فقد أختصها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بليلة القدر التي أنزل فيه القرآن قال بن عباسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنزل القرآن جملةً واحدة إلىٰ السماء الدنيا في ليلة القدر ثم أنزل بعد ذلك بعشرين سنة" [رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي]

وكلنا نقرأ سورة القدر: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ [القدر: ١] والضمير بالإجماع راجعٌ إلىٰ القرآن فالقرآن منزلٌ في ليلة القدر وهذه الليلة بالإجماع كان في شهر رمضان قال الله تعالىٰ: ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥]

ويوم ليلة القدر يسمىٰ بيوم الفرقان كما ذكر الله ذلك في سورة الأنفال: ﴿يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ﴾ [الأنفال: ٤١]

وفي هذه الليلة التي ذكرها الله في كتابه: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١﴾ قال المفسرون فهي ليلة القدرِ أي ليلة العظمة والكبرياء ليلة الدرجات الرفيعة والرفعة ولذلك قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ [الدخان: ٣]

ومعنىٰ ﴿مُّبَٰرَكَةٍۚ﴾ يعني معظمة وقالوا أيضًا: إنها ليلة القدر لأن المقادير تكون في هذه الليلة كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝٤﴾ [الدخان: ٤]

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ ۝٢﴾ [القدر: ١-٢]

وقد قال غير واحدٍ من السلف: ما قال الله في كتابه ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ فقد أعلمه وأخبره وما قال فيه ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ فلم يخبره ولم يعلمه فلما قال: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾ علمنا أن الله أخبرنا ما ليلة القدر من حيث الوصف ومن حيث المكانة ومن حيث المنزلة قال عَزَّوَجَلَّ زيادةً علىٰ ما ذكرنا: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ۝٣﴾ وهنا جاءت الليلة نكرة ولم يبين ما وجه كون ليلة القدر خيرًا من ألف شهر إنما قال: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ۝٣﴾ ليذهب الظنون كل مذهبٍ فهي ليلةٌ خير من ألف شهرٍ في كل ما يتصوره الإنسان فهي ليلةٌ العبادة

فيها خير من ألف شهر هي ليلةٌ مباركةٌ علىٰ الطائعين والطائعات هي ليلةٌ تُرفع فيها الدرجات وتقال فيها العثرات وتعتق فيها الرقاب من النيران ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ۝٣﴾ ذُكر في سبب نزول هذه الآية أن النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ذكر أُناسًا من الأمم الغابرة كما كان الحال في قوم نوحٍ فمن قبله ومن بعده من المؤمنين يعبدون الله مئات السنين فقال أحد الصحابة: وكيف ندرك ذلكم المنزلة ونحن أعمارنا بين الستين والسبعين؟ فأنزل الله تكرمةً لهذه الأمة ورفعةً لهذه الأمة الحمادية المرحومة: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ۝٣﴾ أي العبادة فإن أنت قمت فيها جاءت كالخيرات والبركات ليس بالعشرات ولا بالمئات بل بالملايين المضاعفة ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ۝٣﴾ فإن أنت عُمرت أربعين سنةً في الطاعة ثم كُل سنةٍ أدركت ليلة القدر فأنت فوق عابدي قومِ نوح وأنت فوق عابدِ قوم من بعد نوح فهنيئًا لك يا من شهدت أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله وأقمت هذه الليلة كما أمرك رسول الله كما في حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ ومن قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا غُفر له ما تقدم من ذنبه"

[رواه البخاري ومسلم]

فهي شهادةٌ تُعلق علىٰ أعناق السعداء وهي فضيلةٌ ينالها أهل الطاعات وأفضل العبادات في ليلة القدر الصلاة والقيام وقراءة القرآن بل لم يذكر النبي ﷺ سوىٰ ذلك شيئا ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٌ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٍ ۝٣﴾ وله وجهٌ للخيرية أخرىٰ غير كون المقادير تقدر من عامٍ إلىٰ عام وترفع فيها درجات الصائمين والصائمات ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا﴾ هي ليلةٌ لا تنزل فيها الملائكة بهذا القدر لم تنزل قبل ولا تنزل بعد هذه الليلة تتنزل فيها الملائكة ومعنىٰ ﴿تَنَزَّلُ﴾ أي تتنزل

﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ يعني جبريلُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ في هذه الليلة المباركة جبريل لا ينزل إلا علىٰ الأنبياء والمرسلين إما لتأييدهم أو للإحاء إليهم بأمر الله أو لنصرتهم أو لإهلاك أعدائهم لكنه في هذه الليلة المباركة ينزل جبريل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ وهو مقدم الملائكة كتقديم النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ بين الأنبياء والمرسلين وبين الأمم الصالحين فهذه منزلة جبريل فيا ترىٰ إذا نزل كيف يكون من حوله من الملائكة الذين لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، جبريل لا ينزل بعد موت النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ إلا في ليلة القدر وينزل ﴿بِإِذۡنِ رَبِّهِم﴾ فالملائكة لا تنزل إلا بإذن الله ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمۡرِ رَبِّكَۖ لَهُۥ مَا بَيۡنَ أَيۡدِينَا وَمَا خَلۡفَنَا وَمَا بَيۡنَ ذَٰلِكَۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيّٗا ٦٤﴾ [مريم: ٦٤]

﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٍ ٤﴾ فيها الرفعة فيها الطاعة فيها القبول فيها الخير فيها العافية فيها وفيها لا نستطيع إحصائها ﴿سَلَٰمٌ﴾ من الملائكة علىٰ العُبَّاد والعابدات ﴿سَلَٰمٌ﴾ من الرحمن علىٰ القائمين والقائمات ﴿سَلَٰمٌ﴾ من الملائكة علىٰ القائمين والقائمات ﴿سَلَٰمٌ﴾ في أجورهم يسلمون ويروننا ولا نراهم ولكن يكفي أن يروك وأنت تعبد الله وأنت قائمٌ وأنت تصلي وأنت تذكر الله وأنت تتلوا القرآن فيا ويحىٰ من كان في هذه الليلة مشغولًا بالمعاصي والآثام ﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ٥﴾ يعني من غروب الشمس إلىٰ فجر يوم الذي بعده وهو يوم الفرقان، وكان أحد الصحابة وكان يلقب بالجهني جاء إلىٰ النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ فقال: يا رسول الله إني أئم قومي في بدايتي فمتىٰ تراني أنزل وأصلي معك؟ فقال النبي عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ: إذا كان ليلة ثلاثٍ وعشرين فانزل وصلي معنا فكان بعد ذلك هذا الصحابيُ الجليل حتىٰ

بعد موت النبي عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ ينزل في ليلة ثلاثٍ وعشرين يقول ابنه: فيدخل المسجد قبل الغروب ولا يخرج إلا بعد أن يصلي الفجر وتطلع الشمس بيضاء نقية فيركب ناقته ثم يعود إلىٰ باديته ويصلي بأصحابه بعد ذلك وهي أعني ليلة القدر الصحيح أنها في الأوتار وأنها تتنقل من عامٍ إلىٰ عام وليلة ثلاثٍ وعشرين ليلة إحدىٰ وعشرين أو ثلاثٍ وعشرين أو خمسٍ وعشرين أو سبعٍ وعشرين أو تسعٍ وعشرين أرجىٰ لياليه وعلامة ذلك أنها ليلة صحوٍ وأنها ليلةٌ قد تكون مطيرة خفيفة وصبيحتها تطلع الشمس بيضاء نقية وربما يراها بعض الصالحين ويعلمون أنها في ليلة كذا وكذا فيجتهدون أكثر فأكثر قالت عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا: يا رسول الله أرأيت إن رأيت ليلة القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعفوا عني ما أخصر هذه الكلمة وما أعظم معانيها فوالله لو أقتصر العابد علىٰ هذا الدعاء لحصل خيري الدنيا والآخرة فالسعيد من وفق للعمل الصالح والقيام في هذه العشر وأصاب الرضا والقبول في ليلة القدر ومن حُرم خيرها فقد حُرم الخير والأجر ولذلك كان النبي ﷺ يجتهد اجتهادًا عظيمًا بليغًا فاجتهدوا وفقكم الله في هذه العشر والتمسوا فيها ما بقي منها ليلة القدر فإن فضلها جِد عظيم وقدرها عند الله قدرٌ كريم والموفق فيها من وفق للصواب والمحرومُ من حُرم الأجر والثواب، عن بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رجالًا من أصحاب النبي ﷺ أُروا ليلة القدر في المنام في السبع الأواخر فقال رسول الله ﷺ: أرىٰ رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر فمن كان متحرها فليتحرها في السبع الأواخر" [متفق عليه]

جدوا عباد الله هذا موسم الطاعات وآن التنافس في القربات إذ إن الله تعالىٰ ما أخفىٰ علينا ليلة القدر إلا أن نجتهد في التماسها ونسعىٰ في ابتغائها واقتناصها تنافس أهل الدنيا ليكونوا من أصحاب الملايين وأنتم فتنافسوا في ليلة القدر لتكونوا من القانتين والمقنطرين، أقول ما سمعتم وأستغفر الله لي ولكم فاستغفروه إنه هو الغفور الرحيم.

الخطبة الثانية

الحمد لله مثيب الطائعين ومقيل عثرة التائبين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولي الصالحين وأشهد أن محمدًا عبده ورسول أستقام علىٰ أمره حتىٰ أتاه اليقين صل الله عليه وعلىٰ آله الطاهرين وأصحابه المخبتين ومن تبعهم بإحسان وسلم تسليمًا مزيدًا إلىٰ أن يقوم الناس لرب العالمين.

أما بعد:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾

[آل عمران: ١٠٢]

اتقوا الله الذي عمركم بإنعامه وغمركم ورزقكم الدين وأحكامه ومن عليكم ببلوغ موسم الغفران وفقكم لسبل الطاعة والإيمان فكم من إنسانٍ كان معكم وقد أتاه المنية ولم يستطع إدراك ليلة القدر.

أخوة الإسلام:

إن من شأن الحسنة أن تجر إلىٰ الحسنة فتزودوا في هذا الموسم الرابح بالعمل الطيب الصالح واغتنموا فضل هذه الأوقات فإن العبد ما يزال يتقرب إلىٰ الله حتىٰ يحبه، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: إن الله قال: من عاد لي وليًا فقد آذنته بالحرب وما تقرب إلي عبدي بشيءٍ أحب إلي مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتىٰ أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه" [رواه البخاري]

تقربوا إلىٰ خالقكم في أيامكم هذه ولياليكم بخالص الدعاء وتزلفوا إلىٰ مولاكم بحسن الظن وصدق الرجاء والزموا القرآن قراءتًا وتلاوتًا وتدبرًا وخشوعًا وتفكرا فإنه الشفيع المشفع يوم القيامة، عن عبد الله بن عمرو رَضِيَٱللَّهُعَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: الصيام والقرآن يشفعان للعبد يوم القيامة يقول الصيام: أي ربي منعته الطعم والشهوات بالنهار فشفعني فيه ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفعني فيه قال: فيشفعان" [رواه الإمام أحمد]

وعن عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا قالت: يا رسول الله أرأيت إن علمت أي ليلةٍ ليلةُ القدر ما أقول فيها؟ قال: قولي اللهم إنك عفوٌ تحب العفو فاعف عنا.

طوبىٰ لمن بادر رمضان قبل فواته واغتنم آنائه وساعاته ويا سعادة من صامه وقامه إيمانًا واحتسابًا سارع إلىٰ طاعة مولاه وتاب إليه متابا إن الشهر قد أذن بالرحيل ولم يبقىٰ من إيامه إلا القليل هنيئًا لمن حَسُنت خاتمته يا سعادة من

طابت نهايته قال رسول الله ﷺ: إنما الأعمال بخواتيمها" [رواه البخاري من حديث سهلٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ]

اللهم أعنا علىٰ الصيام والقيام وغض البصر وترك الآثام اللهم تقبل صيامنا وقيامنا وصالح أعمالنا اللهم أجعلنا ممن يوفق لقيام ليلة القدر فيكتب له عظيم الأجر ويمحىٰ عنه كل ذنبٍ ووزر يا سميع الدعاء، اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين وأنصر عبادك الموحدين اللهم عليك بالصهاينة الغاصبين اللهم فرق جمعهم وشتت شملهم وأصرف عنا كل شرٍ وسوءٍ في الدين والدنيا يا رب العالمين اللهم أحفظ أمير البلاد وولي عهده وفقهما لما تحب وترضىٰ وأصلح لهما البطانة والرعية وأهدهما للحق والصواب، اللهم أجعل هذا البلد أمنًا سخاءً رخاء وسائر بلاد المسلمين، اللهم أغفر للمسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.